من الشعراء والأدباء الشباب فى العراق

كاظم جـــواد

للأستاذ خالص عزمي

فى مطلع عام ١٩٢٨ ولد شاعرنا من أب عربى ينحدر من قبيلة عربية تسمى « آل عارض » تقطن المنطقة الجنوبية من العراق فى أطراف مدينة السماوة، وقد أبلت البلاء الحسن فى الثورة العراقية الكبرى عام ١٩٢٠ : ولد شاعرنا فى تلك المنطقة التى تكثر فيها المياه وتحيط بها المزروعات من كل مكان ، وجعلت فيها قدرة الله ألوانا من السحر البديع والجمال الأخاذ . فشب وهو يحب الجمال وترعرع وهو ينظر إلى الطبيعة الفاتنة نظرة البشر والبهجة فانطبقت هذه الصورة فى مخيلته حتى تأثر بها كل التأثر فى قصائده ومقتطفاته

وفى جو تسوده التقاليد القبلية والعادات العربية العريقة نما وعت معه العزة ، والكرامة والصراحة ، وطيبة القلب ، والخلق القويم ، لم يعرف المداجاة ، ولم يمارس النفاق ، فشب وهو كامل الرجولة يتمتع بالمزايا النادرة التى يجب أن يتمتع بها كل رجل

وفى نفس ذلك الجنوب الهادئ الوديع ، القوى الجبار راح شاعرنا يتلقى علومه الأولية فدخل المدارس الابتدائيه ثم المتوسطة والثانوية ، ثم نزح بعدها إلى مدينة العلم والمعرفة « بغداد » حيث راح يكمل دراسته العالية ، فدخل كلية الحقوق العراقية وفى خلال أوقات فراغه كان يقبل على مختلف العلوم والفنون ينهل منها ماشاء الله له أن ينهل ، ولم يكتف بكل ما قرأ ودرس وتعلم ، بل دخل مدرسة دينية مسائية الدروس قرأ فيها أصول الفقه وفلسفة الدين وألفية « ابن مالك » و « البديع » و « البيان » و « أصول النحو » و « العروض » ... الخ من الكتب الدقيقة . وبقى على حاله تلك حتى تخرج فى كلية الحقوق هذا العام وحصل على « الليسانس »

وكان خلال فترة دراسته يتابع نشر قصائده فى مختلف الصحف العراقية والعربية وكانت مجلة « الثقافة » الغراء الميدان الواسع لشاعرية كاظم، فقد نشر فيها أغلب قصائده وأروع مقتطفاته التى كتبت له مجد الشباب الواعى

كنت أجلس إليه ذات مرة وهو شارد الفكر فوجدت الفرصة سانحة لكى أوجه له بعض الأسئلة التى كنت أود معرفتها منه

فقلت : — ماهى أول قصيدة لكم . قال : (الناء) . قلت ألا تود أن تسمعنى منها شيئا : فأنشد يقول وأنا أسجل بعض أبياتها

أطلت كوكبا وضاء يسمو فوق آفاق
دنت كالعابد الهيمان من محراب أشواق
أطلت بسمة سكرى على مرآة إطراق
كئيب ظامئ للحب تذكو نار أعماق
منى نفسى ، سجين الأمس هل حطمت أطواق
بلاماض ، أريد العمر يحلو بعد إخفاق
حياتى بعدما نثرت رياح الندو أوراقى
زبيع سال من عينيك واستلقى بأحداقى

* * *

وقفت أمامها خجلا وطرف حائر شحب
وأنفاسى مولولة على شفتى تصطخب
فؤادى كاد من لهف إلى أحضانها يثب
جريحا والهوى جرح بعيد القور منشعب
سفحت الآه فانتفضت تسائل هل لها سبب
أخاف ، أخاف من أمل إذا ما بحت يحتجب .

قلت بمن تأثرت من الشعراء : قال تأثرت كثيرا (بالمتنبى) من الشعراء القدميين و (بأبى ريشة) من الشعراء المحدثين . قلت ومن الأدباء . قال (بأبى حيان التوحيدى) من القدامى ، وبجبران . وطه حسين . والزيات . ونعيمة . وزكى نجيب محمود . من المحدثين

قلت : هل لك ديوان مطبوع . قال إلى الآن لم أطبعه وإن كان قد جهز للطبع حاليا وأسميته « من أغانى الحرية » وهو مجموع القصائد والمقتطفات الشعرية التى قلتها فى مناسبات كثيرة وأغلبها منشور فى الصحف العربية . وتلك القصائد تدور فى موضوعين : منها فى الجمال والوجدان والحب . ومنها فى القومية العربية والوطنيات ، وقد تأثرت جدا بالحركة المصرية الأخيرة فقدمت

للعالم العربي تسع قصائد في وصف شعوري نحو إخواننا المصريين وهم يكافحون كفاح الأبطال لنيل الحرية وإليك بعض ماقلت في قصيدتي « إعزف بارياح »

مات ضوء النهار واحلولك الأفق الدمي بحشرجات ذكاء
شرق الليل بالجراح وغصت ربوات « للقتال » بالشهداء
وبجاري الدماء أذكى محانيها عناق الأشلاء للأشلاء
فإذا (النيل) والضحايا حواليه صلاة مسحورة الأصداء

إلى أن يقول :

إعزف يارياح ماأحقر العمر إذا آل غمغمات رثاء
إعزف فالظلام ولى ولكن أين فجر البطولة السمحاء
أين قيثارة الحياة يموج الوعي فيها مزمجر الأصداء
أين من دمأة الصباح أراجيز كفاح صخابة الأجواء
فوراء المدى ، وإن زحف الفجر بقايا غمامة دكناء
هالها ، هالها ، شموخ أمانينا على كل ذروة شماء
فعدت بغيها الأثيم فيامصر اخرسيها (بوحدة وجلاء)

وإليك في قصيدتي (المصري الجديد) :

طلعت على دجى الطاغي صبوحا يبارك فجرك الوطن الجريحا
دعاك لمجده فنهضت تسمو كفرخ النسر تحتقر السفوحا
وفي شفتيك تصطخب الأغاني يجن إلى الكفاح هوى جموحا
نداء ماوعاه النيل حتى كساه الموج من لهب مسوحا

إلى أن يقول :

إذا (السودان) كان لمصر روحا فقد كانت له مذ كان روحا

قرأت ما أنشدتني « الجواد » مرة وأخرى ثم قرأت ماسجل في ديوانه في باب الوطنيات فوجدتني أمام شاعر يتدفق وطنية تهزه الأعمال الخوالد في ميدان الكفاح فينشد وينشد حتى يكل منه النفس ، هذا الشاعر الشاب سبق عصره كثيرا ، فقدم للعالم العربي قصائد في الوطنية والوجدان مالم يقدمه شاعر في هذه الأيام ! لنقرأ للقارئ الكريم هذا المقطع الرائع من ملحمته الكبرى التي تقع في ألف بيت من الشعر وهو يصف فيها مصرع البطل العربي الشهيد « عبد القادر الحسيني » في معركة القسطل في الحرب الفلسطينية الأخيرة إذ يقول منها في وصف سقوط (الحسيني) مضرجا بدمائه على الرمال الدكناء ، فيمثله أروع تمثيل ويقدم للقارئ بذلك صورة مجلوة المعاني زاخرة بالعواطف تدل على تمكن الشاعر من دقة التعبير ، قال في المقطع الرابع :

من ترى ذلك الطل ؟ أفجر ، أم شهاب على أديم صباح
يتملى الأجيال ملحمة حمراء كالنور في الضحى ... الوضاح
حملته عرائس الوحي للنجم شهيدا على أعف جناح
بعده ، بعده ، ترنحت الأرض وضجت حناجر ، في الساح
تزفر الرعد فالجوانب أصداء تخطت ... على أنين الجراح
كوثوب الأمواج ، والبحر داوصفقت جبهة الخطوب الطلاح
تنحر البغي فالرنين المدمى . كالأعاصير هائج في النواحي
يا شهيداً على الرمال تسجى ... أدمعت بعده جفون الكفاح
يا شهيداً كأنه الشفق المخضوب ينساب في أصيل الجراح
يا شهيداً نأى وخلف للثوار جرحا في مأتم الأرواح
مأتم الذكريات والفارس المعلم في السوح كالضياء الصراح
كانفلاق الشروق . كاللهب الثائر . كالجمر . كالدم النضاح
صبغ الأفق بالسناء وبالوهج ودمى هيا كل الأشباح
فإذا الليل في جوائله السود عروس تؤج كالمصباح
تنثر الضوء يابسا فعليها ... جمدت دمعة العلى المستباح

هذا هو المقطع الرائع من القصيدة الدامية التي خرجت من القلب وكتبها العقل وسجلتها للخلود العاطفة، نعم هذا مقطع من تلك القصيدة التي أحدثت ضجة كبرى في ميدان الأدب العراقي عندما نشرها الأستاذ (كاظم) في جريدة اليقظة البغدادية وقد عدها بعضهم بأنها الوسام الخالد الذي علقه الشاعر على صدر البطل (الحسيني)

في هذه القصيدة بالذات لمس (القارئ الكريم) انبعاثات روحية علوية وانطلاقات شعورية وصوراً رفيعة النفس عميقة الفكرة صورت في روح متألمة حزينة

ثم هنا تقدم للشاعر صورة أخرى هزت عاطفته حينا كثيراً فجعلت منه شاعر الحب والجمال — كما يسمونه في بغداد — تقدم هذه الصورة وهي ملونة بلون الإحساس الرهيف والإخلاص العميق . هذه الصورة هي بعض الأبيات في قصيدته العاطفية تدرجها للقارئ : —

عبرت على دربي خطاها وتناولت قلبي يداهـا

فى الليل فى بيداء وهمى فى مجارى العمر تاهـا
فى هوة اليأس البهيم وعى من الدنيا أذاها
طلعت فشب به الشباب وأج فى دمه اظطرامها
عزراء سلت من مآقى النور فاتلقت مناهـا
يكسو محياها العفاف أشعة ورؤى وجاهـا
وكنجمة الليل الوليد هفا على أفقى ضياهـا
منحته كالطفل اليتيم حنانها وحبته تاهـا
قد أرضعته هوى الحياة فراح لايهوى سواهـا
ياطالما أهوى تلاوين البكور شذى سناها
وروى إلى الأطيار أغنية بمنحة لناهـا
وأذاب فى الأوتار أحلام العرائس فى صباها
هو بسمة الحب البرئ يضئ فى شفتى رؤاها
حتى إذا بالأمس أجنحة الهوى بلغت ذراها
رزئته بالذهب الحقير وماله إلا جواهـا
مهوى على السفح الجديب منى تضرجها دماهـا
فكأنه لم يملك الدنيا إذا وهبت رضاهـا
واضيعة الأمل الشرود إذا رنا فسفحت آهـا
خفتت شموع الذكريات وجف فى عينى ضحاها

* * *

ستظل ترقبنى مع الناى المكسر مقلتاها
وهناك فى وادى الدموع لعل آلامى تراهـا
هيهات لن أنسى هواها السمح لن أنسى هواها

والقصيدة طويلة النفس فيها من التعابير الوجدانية أسماها، فيها من العاطفة الزاخرة بالإخلاص والحب والتفانى أروعها.

والأستاذ الجواد: بعد كل هذا: فنان يلمس الحياة بما ألهمه الله القدير من فكر ثاقب وعقلية طموحة عالة، تدفع صاحبها إلى أرفع مكانة

ولعل الكثيرين من الشعراء يعرفون أن (الجواد) شاب خلق من نفسه إنساناً يعرف معانى الحياة، ويقيس الناس بمقاييس العقل الواعى، ولعلهم يعرفون فى شاعرنا أنه فوق من الطراز الأول يتغانى فى سبيل عروبته إلى أقصى مدى وهذا ماجعله محبوباً من جماعته محترماً منهم يقدرونه كل التقدير

وأخيراً نود أن نقدم (للقارئ) بعض نماذج من شعره الوجدانى، والوطنى، والإخوانى الذى امتاز كثيراً:

من ملحمة العربى التائه وتقع فى ألف بيت من الشعر: -

حشرجات الكئيب ... يا آهة الفن، ويا حسرة شجت بدمائه
رب جرح تناهشته كروب تنفذ الشعب قطرة من دمائه
أيها الشاعر اللهيف إلى النور بزوغاً، فالصبح من سجرائه
شعبك الأخرس الشقى ذليل سادر فى ضلاله وعمائه
كافر يلعن الحياة ويبقى مستكيناً لذله واصطلائه
عابس يحصد المنين شقاء ويعارى الأساة عن أدوائه
يتمشى الفناء فى جسمه الناحل، والموت صار من أسمائه
بانشيداً فى حومة المجد يرقى مشمخرا على ذرى علیائه
بانشيداً بدونه شرف الشعب مهان يذوق سم شقائه
بانشيداً كأنه نغم الخالد تهاوى إلى رؤى عنرائه
فكرة أنت كالطلاسم ظلت فهى سر الإله فى أنبيائه

وفى قصيدة له عنوانها « الهارب » نقدم هذه الأبيات التى فيها انطلاقات روحية فلسفية تدل على الفترة التى انغمر فيها شاعرنا فى كتب الدين والفلسفة ينهل منها كثيراً يقول فى تلك القصيدة:

عذراء، إنى ذاهب فاهدئى هل نحن إلا من مدى حكمته
الله لا أنت، ولا من عتا ولا أنا ننال من قدرته
كل على الأرض إلى غاية وننتهى، نسمو على خلقته
الليل لن يفتح أبوابه لو لم يطل الفجر من كوته
سبحانه، سبحان ذاك الذى فجر ينبع الحب من جنته
نشرب منه الأمل المشتهى ونأكل الزقوم من سدرته
لا كان عهد الحب إن لم تكن عين النوى ترعاك فى عينه

هذا هو « كاظم جواد » شاعر الحب والجمال، الشاب الذى أحرق من أعصابه بخوراً فى سبيل عقيدته وأهدافه فى الحياة.

بغداد: الأعظمية — فالص عزمى